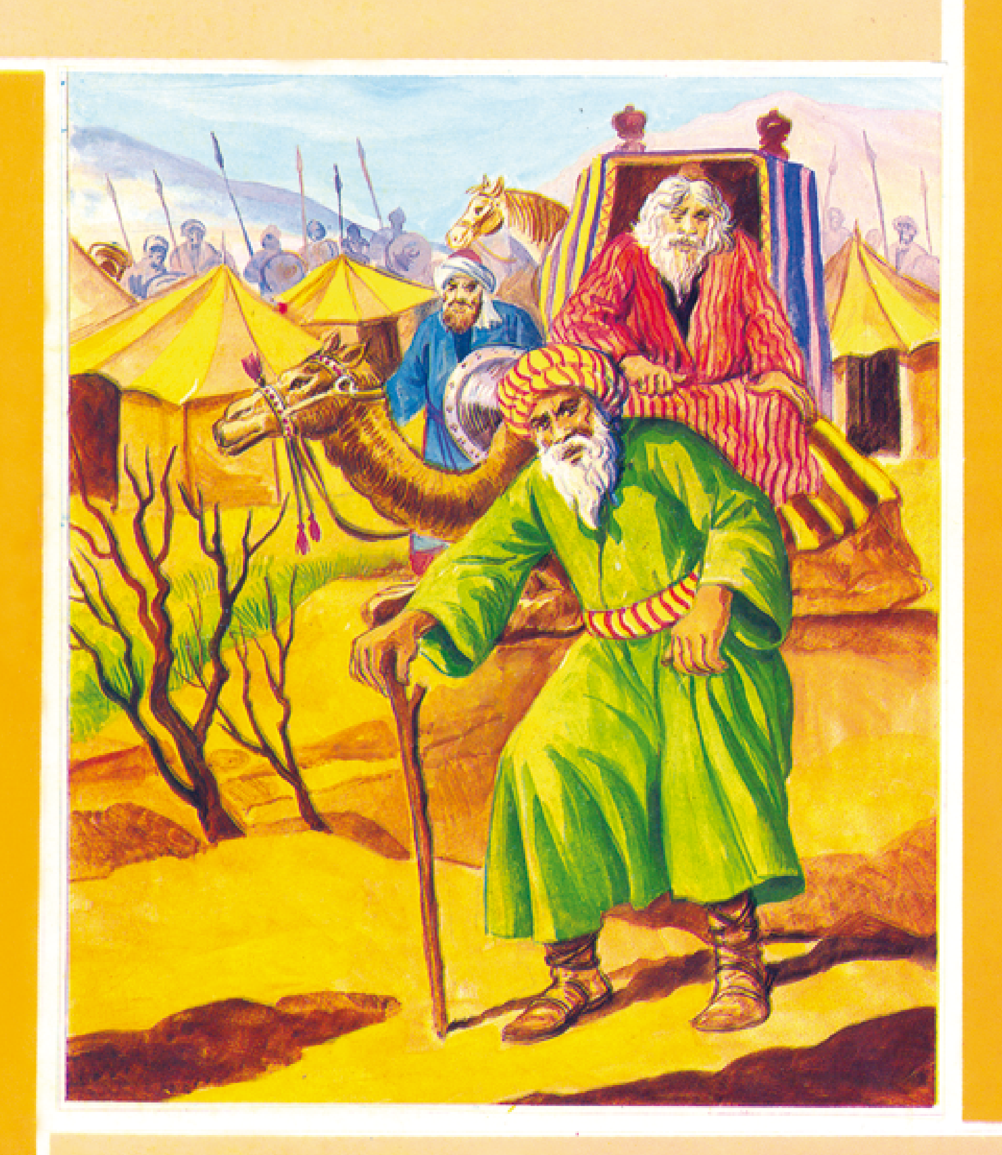
أطفالنا
في رحاب
القرآن
الكريم

آيات وقصة

يوم حنين

٤٤





رزق السيد هيبه

يَـوْمُ حُنَيْنٍ

رزق هيبة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

«أولادنا»

أمانة غالية، نعمة اللَّه، أمرنا بالحفاظ عليهم، ورعايتهم بالتربية السليمة. . وهذه السلسلة:

- تربِّى أولادَنا تربية إسلاميَّةً تعتمدُ عَلَى هُدًى مِنْ كِتابِ اللَّه «القرآن الكريم» تعرضُ القصصَ على حسَبِ ترتيب المصْحَف لتكوِّنَ فى النهاية «التفسيرَ القصَصىَّ للقرآنِ الكريمِ للناشئينَ» وهمْ فى حَاجَةٍ ماسَّةٍ إلَى هذا التفسير الذى يَصِلُهمْ بماضِيهِمْ العريقِ، ويعدُّهُمْ لحاضِرِهمْ ومُسْتَقْبَلِهِمْ.

- وفى هذه الطَّبعة الجَديدَةَ حَرِصْنَا أنْ تكونَ الفائدةُ أكبَر، فقدَّمنا فِى آخرِ كلِّ قصَّة ملحقًا منْ شقَّيْنِ. . الشقُّ الأوَّلُ عدَّةُ أَسْئلَة تَحْفزُ القَارئَ عَلَى أنْ يُعيدَ القراءَةَ ويتأمَّلَ القصَّةَ جَيداً ليجيبَ عن هذه الأسئلَة، فتستقرَّ المعَانى فى ذِهْنه، ويزيدَ عِلْمًا بمَا فيها مِنْ قِيمَةٍ دينيةٍ هى الثمرةُ التى نَرْجُوهَا من نشْر هذِه القصَصِ.

- أما الشقُّ الثانى من الملحَقِ فهوَ دُروسٌ فى قواعد اللغَة العربيَّة «علم النَّحْوِ» إذا تَتبَّعهَا القَارئ دَرْسًا بَعْدَ درسٍ من بدايَة السِّلْسلة إِلَى آخِرِهَا يَصيرُ عَلَى عِلْمٍ بالحدِّ الأدْنَى مِنْ قواعد النحوِ التِى لا يَنْبَغِى لقَارِئ أنْ يجهلَها، فيستقيمَ لسَانُهُ، وتسلَمَ قراءَتُهُ مِنَ اللَّحْنِ والخطَأ. .

وبهذه القصَصِ وما يَتبَعُهَا من دُروسٍ فى اللغَة نكونُ قَد حصلْنَا عَلَى فَائدة مزدوَجَة، مِنْ قيمٍ دينيةٍ ومعرفَةٍ بقواعد لغتنَا، وَهُوَ مَا يَنْبَغى أنْ نربِى عَلَيْه أجْيَالَ أبْنائنَا القَادمة. . فنستعيدَ مجدَ الماضِى عَلَى أسُسٍ مِنْ حَضَارَةِ المسْتَقْبَلِ. . ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** (٧٤)﴾ [الفرقان].



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ٢٦
ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ٢٧

[التوبة]

معانى الكلمات:

٢٥- **مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**: مشاهد من مشاهد الحرب وأماكن المعارك والغزوات، وهى صيغة جمع مفردها «موطن».

يَوْمَ حُنَيْنٍ: اليوم الزمنى هو الوقت من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهناك رأى بأن اليوم هو الليل والنهار معًا، وأيام الله هى نعمه ونقمه. ويوم حنين هو اليوم الذى حدثت فيه الموقعة التى سنذكرها فى هذه القصة.

حُنَيْنٌ: واد بين مكة والطائف. والوادى هو المكان المنخفض تحفه جبال ومرتفعات من جانبيه.

وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ: فررتم وأعطيتم أدباركم - أى ظهوركم للعدو.

٢٦- **السَّكِينَةُ**: الوقار والطمأنينة والمهابة والثبات.

جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا: ملائكة نزلت لتثبيت المسلمين وإرهاب الكافرين.

(١)

تَعَوَّدَت الأُسْرَةُ أنْ تُؤَدِّىَ صَلاةَ العِشَاءِ جَمَاعَةً كُلَّ لَيْلَةٍ؛ الأبُ فِى المقدِّمَة إمَامًا، وَالأمُّ وَالأبْنَاءُ مِنْ خَلْفِه، يَصْطَفُّونَ فِى سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، يَقْتَدُونَ بإمَامِهِمْ، يَرْكَعُونَ إذَا رَكَعَ، وَيَرْفَعُونَ إذَا رَفَعَ، وَيَسْجُدُونَ إذَا سَجَدَ. يعْلَمُونَ أنَّهُمْ بتِلْكَ الصَّلاَة يَنَالُهُمْ الثَّوَابُ الجَزِيلُ مِنْ رَبِّهِمْ، فَهُمْ يُؤَدُّونَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الإسْلامِ الخَمْسَةِ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى ألا يَفُوتَهُمْ وَقْتُ الفَضِيلَةِ مُمْتَثِلينَ لقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا** (١٠٣) ﴾ [النساء] وَيَرْجُونَ الفَضْلَ العَظِيمَ مِنَ اللَّه رَبِّ العَالَمِينَ إذْ يُصَلُّونَ فِى جَمَاعَةٍ، فَقَدْ بَشَّرَهُمُ النَّبِىُّ ﷺ بأنَّ صَلاةَ الجَمَاعَةِ أفْضَلُ مِنْ صَلاةِ الفَرْدِ وَحْدَهُ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً.

وَكَمَا هِىَ عَادَتُهُمْ بَعْدَ أدَاءَ الصَّلاةِ التَّفُّوا حَوْلَ وَالدِهِمْ يَحْكِى لَهُمْ فِى رِحَابِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَمِنْ آيَاتِه قِصَّةً تُعَلِّمُهُمْ شَيْئًا مِنَ الدِّينِ، أَوْ مِنَ التَّارِيخِ، أَوْ تَقُصُّ عَلَيْهِمْ مَا يَنْبَغِى أنْ يَعْرِفُوهُ مِنْ مَكَارِمِ الأخْلاقِ وَمَحَاسِنِ الفِعَالِ.

قَالَ الوَالِدُ: هَات يَا أَيْمَنُ المُصْحَفَ، وَاقْرَأ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ التَّوْبَةِ لِكَىْ نَتَذَكَّرَ الآيَاتِ الَّتِى كَانَتْ مِحْوَرَ حَدِيثِنَا المَاضِى، وَمِنْهَا قَصَصْنَا قِصَّتَنَا السَّابِقَةَ – يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ.

وَتَوَجَّهَ أَيْمَنُ إِلَى مَكْتَبَتِه، وَعَادَ وَهُوَ يَحْمِلُ نُسْخَةً مِنَ المصْحَفِ الشَّرِيفِ، وَفَتَحَ صَفَحَاتِه عَلَى سُورَةِ التَّوْبَةِ، وَبَدَأَ يَتْلُو الآيَاتِ الكَرِيمَةَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ** ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ السَّابِعَةِ وَالعِشْرِينَ، وَلَمْ يَكَدْ يَنْتَهِى مِنْ تِلاوَتِهَا حَتَّى قَالَ وَالِدُهُ

« صَـدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ » وَأشَـارَ إلَى أشْـرَفَ قَـائلاً : خُـذْ يَا أشْـرَفُ المصْـحَفَ مِنْ أخِيكَ، وَاقْرَأ الآيَاتِ الثَّلاثَ الأخِيرَةَ، ثُمَّ اشْرَحْ لَنَا مَاذَا فَهِمْتَ مِنْهَا .

وَتَلا أشْرَفُ الآيَاتِ بإمْعَانٍ، ثُمَّ التَفَتَ إلَى أبِيهِ وَإخْوَتِهِ وَقَالَ : أفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ أنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُذَكِّرُ النَّبِيَّ ﷺ وَالمُسْلِمِينَ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، وَبِأنَهُ قَـدْ نَصَـرَهُمْ فِي مَـوَاقِعَ كَـثِـيـرَةٍ، فَلَقَـدْ سَبَقَ لَهُمْ أنِ انْتَـصَـرُوا فِي بَدْرٍ، وانْتَـصَـرُوا فِي أُحُـدٍ، وَانْتَـصَـرُوا فِي غَـزْوَةِ الأحْـزَابِ، وَانْتَـصَـرُوا فِي فَتْحِ مَكَّةَ، وَنَصَرَهُمُ اللَّهُ أيْضًا فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ بَعْدَ أنْ يَئِسُوا مِنَ النَّصْرِ، وَوَلُّوا هَارِبِينَ أمَامَ أعْدَائِهِمْ، لَوْلا أنْ أنْزَلَ اللَّهُ السَّكِينَةَ عَلَى نَبِيِّهِ فَثَبَتَ أمَامَ المُشْرِكِينَ، وَرَغْمَ أنَّ عَدَدَ المُسْلِمِينَ فِي هَذَا اليَوْمِ كَـانَ كَثِيراً جِداًّ، كَـثْرَةً بَعَثَتْ الغُـرُورَ فِي نَفْسِ بَعْضِهِمْ حَتَّى ظَنُّوا أنَّهُم لا يُمْكِنُ أنْ يُهْزَمُوا فِي مَعْرَكَةٍ يَدْخُلُونَهَا بِهَذِهِ الكَثْرَةِ .

قَـالَ الوَالِـدُ : بَارَكَ اللَّهُ فِـيـكَ يا بُنَيَّ، هَذَا فِي الحَـقِـيـقَـةِ هُوَ المُرَادُ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ، وَلَكِـنْ وَرَاءَ ذَلِكَ قِـصَّـةٌ فِـيـهَـا عِظَاتٌ يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أنْ يَـتَـأمَّلَهَـا، وَيَأخُذَ مِنْهَا العِبْرَةَ حَتَّى لا يَقَعَ فِي الخَطَأ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ المُسْلِمُونَ يَوْمَ حُنَيْنٍ.

قَالَتْ إيمَـانُ : وَكَيْفَ أخْطَأ المسْلِمُـونَ وَهُمْ يَعِيشُونَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ، وَالوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ بَيْنَهُمْ لَيْلاً وَنَهَاراً؟

قَالَ الوَالِدُ : إنَّ النَّفْسَ البَشَرِيَّةَ هِيَ هِيَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، قَدْ تَنْتَابُهَا لَحَظَاتُ ضَعْفٍ فَتَغْتَرُّ بِقُوَّتِهَا أوْ بِمَالِهَا أوْ بِصِحَّتِهَا، وَهِيَ لا تَدْرِي أنَّهُ رُبَّمَا كَانَ فِي هَذِهِ الأشْيَاءُ مَا يُهْلِكُهَا .

والإِنْسَانُ العَاقِل هُوَ الَّذِى يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ قَدْرَهَا.. كَيْفَ كَانَتْ بِدَايَتُهَا؟ وَكَيْفَ سَتَكُونُ نِهَايَتُهَا؟ وَمَا وَظِيفَتُهَا فِى الحَيَاةِ الَّتِى تِعِيشُهَا عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ.. وَتَسِيرُ مُهْتَدِيَةً بِمَا عَرَفَتْهُ مِن إِجَابَةِ هَذِهِ الأَسْئِلَةِ.

وَرُبَّمَا كَانَتِ الأَخْطَاءُ الَّتِى وَقَعَ فِيهَا بَعْضُ المسْلِمِينَ فِى زَمَنِ النَّبِى ﷺ دُروسًا لَنَا نَحْنُ عَلَى مَدَى التَّارِيخِ. يَقُصُّهَا اللَّهُ عَلَيْنَا فِى كِتَابِهِ لِيَقُولَ لَنَا: احْذَرُوا وَانْظُرُوا إِلَى أَخْطَاءِ أَسْلافِكُمْ، وَكَيْفَ كَانَتْ نَتِيجَتَها؟ فَلا تَضَعُوا أَنْفُسَكُمْ أَيْضًا فِى دَائِرَةِ هَذِهِ الأَخْطَاءِ حَتَّى لا يَحِقَّ عَلَيْكُمْ مَا حَقَّ عَلَى الْمُخْطِئِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ.

قَالَ أَشْرَفُ: لَقَدْ قَرَأتُ أنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ فِى غَزْوَةِ أُحُدٍ أخْطَأُوا خَطَأً كَانَ سَبَبًا فِى هَزِيمَتِهِمْ أَوَّلَ الأَمْرِ، ثُمَّ ثَبَّتَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَبَعْضَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حَوْلِهِ فَانْتَصَرُوا وَدَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَكَيْفَ عَادَ المسلمونَ إِلَى الخَطَأ نَفْسِهِ فِى يَوْمِ حُنَيْنٍ، وَلَمْ يَتَعَلَّمُوا الدَّرْسَ مِنْ أُحُدٍ؟

قَالَ الوَالِدُ: لَمْ يَكُنِ الخَطَأُ فِى يَوْمِ حُنَيْنٍ مِثْلَ الخَطَأ يَوْمَ أُحُدٍ.. فَلِكُلِّ خَطَأٍ نَوْعِيَّةٌ خَاصَّةٌ مُخْتَلِفَةٌ عَنِ الأَخْطَاءِ الأُخْرَى. وَكَمَا قُلْتُ - لَعَلَّ هَذِهِ الأَخْطَاءَ وَاخْتِلافَ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ هِىَ دُرُوسٌ مَقْصُودَةٌ، يُرِيدُ - اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يُعَلِّمَنَا مِنْ خِلالِهَا، فَفِى غَزْوَةِ أُحُدٍ وَقَعَ الخَطَأُ مِنْ بَعْضِ الْمُحَارِبِينَ وَهُمُ الرُّمَاةُ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ النَّبِى ﷺ أَلا يَتْرُكُوا أَمَاكِنَهُمْ إِلا بِأَمْرِهِ ﷺ وَلَكِنَّ هَؤُلاءِ الرُّمَاة عِنْدَمَا رَأَوْا بَشَائِرَ النَّصْرِ، وَأَبْصَرُوا المشْرِكِينَ وَهُمْ مُنْهَزِمُونَ، وَبَعْضَ فُرْسَانِ الْمُسْلِمِينَ يَجْمَعُونَ الغَنَائِمَ، تَرَكَ هَؤُلاءِ الرُّمَاةُ أمَاكِنَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَأذَنَ لَهُمُ

النَّبِىُّ بِذَلِكَ، وَرَأَى المشْرِكُونَ ثَغْرَةً خَالِيَةً يُمْكِنُ أَنْ يَهْجُمُوا عَلَى المسْلِمِينَ مِنْهَا – وَهِىَ المَكَانُ الَّذِى كَانَ يَقِفُ فِيهِ الرُّمَاةُ وَيَحْرُسُونَ المسْلِمِينَ مِنَ الخَلْفِ، فَلَمَّا تَرَكُوهُ هَجَمَ المشْرِكُونَ عَلَى المُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ، فَكَانَ خَطَأُ الرُّمَاةِ وَتَصَرُّفُهُمْ بِدُونِ إِذْنِ الرَّسُولِ ﷺ سَبَبًا فِى هَزِيمَةٍ مُؤَقَّتَةٍ، ثَبَتَ النَّبِىُّ ﷺ وَقْتَهَا إِلَى أَنْ التَفَّ المسْلِمُونَ حَوْلَهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَعَادَ إِلَيْهِمُ النَّصْرُ.

أمَّا فِى يَوْمِ حُنَيْنٍ فَقَدْ كَانَ الخَطَأُ مِنْ نَوْعٍ آخر، هُوَ الاغْتِرَارُ بِالقُوَّةِ، وَالظَّنُّ أنَّهَا وَحْدَهَا هى السَّبَبُ فِى النَّصْرِ، إِذْ أَثْبَتَتْ نَتِيجَةُ المعركَةِ أنَّ الكَثْرَةَ فِى العَدَدِ، أَوْ فِى السِّلاحِ لَيْسَتْ هِىَ السَّبَبَ الوَحِيدَ فِى الانتصارِ.. إِنَّمَا لِلمعَارِكِ قَانُونُهَا، ولِلْحُروبِ نِظَامُهَا، وَقَبْلَ القَانُونِ وَالنِّظَامِ هُنَاكَ إِرادَةُ اللَّهِ الَّتِى تَعْلُو كُلَّ إِرَادَةٍ.

قَالَ أيْمَنُ: لَقَدْ شَوَّقْتَنَا يَا أَبِى إِلَى سَمَاعِ هَذِهِ القِصَّةِ.. فَمَاذَا حَدَثَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ وَمَا تِلْكَ الأخْطَاءُ الَّتِى وَقَعَ فِيهَا المُسْلِمُونَ حَتَّى اسْتَحَقُّوا بِسَبَبِهَا أنْ يُهْزَمُوا تِلْكَ الهَزِيمَةَ الَّتِى أَصْبَحَتْ دَرْسًا يَذْكُرُهُ التَّارِيخُ لِكُلِّ الأجْيَالِ مِنْ بَعْدِهِمْ.

قَالَ الوَالِدُ: لِنَعُدْ أوَّلاً إِلَى قِصَّةِ (قُوَّة الصَّابِرِينَ) هَلْ تَذْكُرونَ مَاذَا قُلْنَا فِيهَا؟

قَالَ الأَوْلادُ الثَّلاثَةُ فِى نَفْسٍ وَاحِدٍ: نَعَمْ نَذْكُرُ.. لَقَدْ كَانَ عَدَدُ المُسْلِمِينَ قَلِيلاً.. أمَامَ جَيْشٍ كَبِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِى غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَكِنَّ الإِيمَانَ العَمِيقَ والوُثُوقَ بِنَصْرِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ المُجَاهِدِينَ

المخْلصِينَ، جَعَلَهُمْ يَنْتَصِرُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، ذَلكَ الانْتِصَار العَظِيم الَّذى فَتَحَ الطَّرِيقَ أمَامَ المُسْلِمِينَ إلى انتِصَارَاتٍ أُخْرَى عَظِيمَةٍ، ولَقَدْ قَتَلَ المسْلمُونَ سَبْعِينَ منْ قَادَةِ المشْرِكِينَ فِى غَزْوَةِ بَدْرٍ هَذه، وأَسَرُوا سَبْعِينَ آخَرِينَ، وَعَادَ المشْرِكُونَ إِلَى مَكَّةَ يَجُرُّونَ أَذْيَالَ الخَيْبَةِ، ويَكْتَسُونَ بعَار الهَزِيمَةِ.

قَالَ الوَالِدُ: هَذَا صَحِيحٌ.. وَلَقَدْ كَانَ ذَلكَ فِى غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَكنْ فِى غَزْوَةِ حُنَين، أرَادَ اللَّهُ أنْ يُعْطِيَ المسْلِمِينَ دَرْسًا لا يَنْسُونَهُ أبَدًا، أرَادَ أنْ يُعَلِّمَهُمْ أنَّ كُلَّ انْتِصَارٍ منْ تِلْكَ الانْتِصَارَاتِ الَّتى حَصَلُوا عَلَيْهَا، إِنَّمَا كَانَ ثَمَرَةَ العَوْنِ الإِلهِىِّ، فَعنْدَمَا كَانُوا ضِعَافًا وَقَلِيلِينَ وَلَيْسَ مَعَهُم سِلاحٌ كَانَ انْتِصَارُهُمْ بَاهِرًا تَعْجَزُ كُلُّ الأَلْسِنَةِ عَنْ وَصْفِه، وَعِنْدَمَا وَصَلَ عَدَدُهُمْ إِلَى اثْنَىْ عَشَرَ ألْفَ مُقَاتِلٍ، وَهُوَ عَدَدٌ يَفُوقُ التَّصَوُّرَ فِى ذَلكَ الزَّمَان، دَخَلَ العُجْبُ قُلُوبَهُمْ وَخَالَطَ الغُرورُ أنْفُسَهُمْ، وَلَكنْ فَجْأةً انْقَلَبَتْ المَوَازِينُ، وَأحَاطَ بِهِمْ المشْرِكُونَ منْ كُلِّ جَانِبٍ، وكَادُوا أنْ يَقْضُوا عَلَيْهِمْ، لَوْلا أنَّهُم فَرُّوا، وَوَلُّوا أمَامَ أعْدَائِهِمْ مُدْبِرِينَ.

قَالَ أيْمَنُ: لا تَزَالُ القِصَّةُ فِى حَاجَةٍ إِلَى تَفْصِيلٍ، وَلا يَزَالُ اللَّيْلُ طَوِيلاً، فَهَاتِ يَا أَبِى القِصَّةَ منْ بِدَايَتِهَا.

* * *

(٢)

قَالَ الوَالِدُ: تَذْكُرُ لَنَا فُصُولُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ العَطِرَةِ قِصَّةَ كَثِيرٍ مِنْ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ. وكَانَتْ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ مِنْ أَوَاخِرِ غَزَوَاتِهِ ﷺ، إِذْ أَعْقَبَتْ فَتْحَ مَكَّةَ، وكَانَتْ بِمَثَابَةِ تَطْهِيرٍ لِلنَّوَاحِي الَّتِى تُحِيطُ بِالبَلَدِ الحَرَامِ مِنْ بَقَايَا الشِّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ.

كَانَ أَهَمُّ مَدِينَتَيْنِ تَشْغَلانِ بَالَ الرَّسُولِ ﷺ، هُمَا مَكَّةُ المكَرَّمَةُ وَالمَدِينَةُ المُنَوَّرَةُ: مَكَّةُ بِاعْتِبَارِهَا مَحَلَّ مَوْلِدِهِ ﷺ، وَالبَلَدَ الأَمِينَ الَّذِى يُحِبُّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَالَّذِى قَالَ فِيهِ، وَهُوَ خَارِجٌ مِنْهُ مُتَّجِهًا إِلَى المدِينَةِ المُنَوَّرَةِ: يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّكِ أحَبُّ بِلادِ اللَّهِ إِلى نَفْسِى، وَلَوْلا أنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِى مَا خَرَجْتُ مِنْكِ.

أمَّا المَدِينَةُ المنَوَرَةُ فَهِى المكَانُ الَّذِى هَاجَرَ إِلَيْهِ، وَاسْتَقَرَّ فِيهِ، وَوَجَدَ فِيهِ الأَمْنَ والطُّمَأنِينَةَ، وَالأَنْصَارَ الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا. وَلَقَدْ مَضَى عَلَى بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ عَامًا، قَضَى مِنْهَا ثَلاثَةَ عَشَرَ عَامًا فِى مَكَّةَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِالحِكْمَةِ وَالموْعِظَةِ الحَسَنَةِ، وَيُقَابِلُ الأذَى وَالعَنَتَ مِنْ قَوْمِهِ بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ، وَأذِنَ لِبَعْضِ المسْلِمِينَ أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَى الحَبَشَةِ هَرَبًا بِدِينِهِمْ، وَبَحْثًا عَنْ أَمَاكِنِ الأَمْنِ، إِلَى أَنْ اضْطُرَّ هُوَ نَفْسُهُ إِلَى الهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ المنَوَّرَةِ، وَقَضَى فِيهَا ثَمَانِى سَنَواتٍ حَتَّى فَتْحَ مَكَّةَ وَغَزْوَةَ حُنَيْنٍ، قَضَاهَا هِيَ الأُخْرَى فِى الجِهَادِ، والدِّفَاعِ عَنِ الإِسْلامِ وَالمسْلِمِينَ ضِدَّ المشرِكِينَ أَعْدَائِهِمْ. فَلا يَزَالُ قَوْمُهُ فِى مَكَّةَ مُشْرِكِينَ، وَلا تَزَالُ هُنَاكَ قَبَائِلُ كَثِيرَةٌ حَوْلَ المدِينَةِ بَاقِيَةً عَلَى الشِّرْكِ لَمْ تُسْلِمْ

بَعْـدُ، وَلَـمْ تُؤْمِنْ بِاللَّهِ، وَمَكَّةُ هِيَ البَلَدُ الحَـرَامُ الَّتِى اخْـتَـارَهَا اللَّهُ مُنْذُ الأَزَلِ لِتَكُونَ مَقَرًّا لبيتِهِ الحَرَامِ، الَّذِى بَنَتْهُ المَلائِكَةُ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، ثُمَّ أَقَامَ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ هُوَ وَوَلَدِهِ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلامُ، وَأَعَادَا بِنَاءَهُ مِنْ جَدِيدٍ. ثُمَّ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُولَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فِى مَكَّةَ المكرَّمَةِ، وَفِى جِـوارِ البَـيْتِ الحَـرَامِ، وَهَا هُوَ ذَا فِى المَدِينَةِ المنوَّرَةِ يَتَـمَنَّى أَنْ تَعُـودَ مَكَّةُ عَاصِمَةَ الإِيمَانِ وَالدِّينِ وَأَنْ تَتَطَهَّرَ وَيَتَطَهَّرَ البَيْتُ الحَرَامُ مِنَ الأَوْثَانِ والأَصْنَامِ الَّتِى لا تَزَالُ حَوْلَ الكَعْبَةِ وَفَوْقَهَا.

قَالَتْ إِيمَانُ: وَمَا عَلاقَةُ تَطْهِيرِ مَكَّةَ وَالبَيْتِ الحَرَامِ بِمَا حَدَثَ يَوْمَ حُنَيْنٍ.

قَالَ الوَالِدُ: لَقَدْ عَزَمَ النَّبِىُّ ﷺ أَنْ يَعُودَ إِلَى مَكَّةَ فَاتِحًا، فَأَعَدَّ جَيْشًا عَظِيمًا لَمْ تَشْهَدِ الجزِيرَةُ العَرَبِيَّةُ مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ، إِذْ كَانَ عَدَدُهُ يَزِيدُ عَلَى عَشْرَةِ آلافِ مُقَاتِلٍ، قَدْ أَعَدُّوا أَنْفُسَهُمْ بِكُلِّ الأَسْلِحَةِ المعْرُوفَةِ فِى ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيَسِيرُونَ فِى طَاعَةٍ مُطْلَقَةٍ لِقَائِدِهِمْ العَظِيمِ مُحمَّدٍ ﷺ، وَالطَّاعَةُ لِلقِيَادَةِ تُمَثِّلُ دَائِمًا سَبَبًا مُهِمًّا مِنْ أَسْبَابِ الانْتِصَارِ، وَلَمْ تَكُنْ قُرَيشٌ وَلا غَيْرَهَا مِنَ القَبَائِلِ تَعْرِفُ أَيْنَ يتَّجِهُ جَيْشُ المسْلِمِينَ، إِذْ كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يُحِيطُ غَزَوَاتِهِ بِالسِّرِّيَّةِ التَّامَّةِ، لأَنَّ السِّرِّيَّةَ أَيْضًا سَبَبٌ كَبِيرٌ مِنْ أَسْبَابِ الانْتِصَارِ وَالفَلاحِ.

وَكَانَ مِمَّا يَقُولُهُ النَّبِىُّ ﷺ لِلمُسْلِمِينَ دَائِمًا «اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالكِتْمَانِ» لِذَلِكَ بَدَأَتْ كَثِيرٌ مِنَ القَبَائِلِ تَأْخُذُ حِذْرَهَا وَتَسْتَعِدُّ هِيَ الأُخْرَى لِلدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهَا إِذَا هَاجَمَهَا جَيْشُ المسْلِمِينَ. وَكَانَ هَدَفُ الرَّسُولِ ﷺ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ هُوَ تَطْهِيرُ الجَزِيرَةِ العربِيَّةِ كُلِّهَا مِنْ أَعْدَاءِ الإِسْلامِ،

لِيَجْعَلَ مِنْهَا وِحْدَةً لَهَا ثَقَافَتُهَا، وَلَهَا دِينُهَا، وَلَهَا مَبَادِئُهَا وَنُظُمُهَا حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يُوَاجِهَ عَدُوَّهُ فِى الشَّمَالِ، جَيْشَ الرُّومِ ذَلِكَ العَدُوُّ الَّذِى يَتَحَرَّشُ بِالمسْلِمِينَ، وَيُعَدُّ العُدَّةَ لِلتَّدخُّلِ فِى شُئُونِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّة، لِذَلِكَ سَارَعَ النَّبِىُّ ﷺ بِأَنْ دَعَا إِلَى الإِسْلامِ قَبَائِلَ البَدْوِ حَوْلَ مَكَّةَ، كَمَا دَعَا النَّصَارَى فِى نَجْرَانِ، وَأَمَرَاءَ الجَنُوبِ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا قَدِ انْضَمُّوا لِلإِسْلامِ بَعْدُ. وَقَدِ اسْتَجَابَ غَالِبُ هَؤلاءِ لِدَعْوَةِ الإِسْلامِ.

وَلَكِنْ مَدِينَةُ الطَّائِفِ وَبَعْضُ بِلادِ نَجْدٍ كَانَتْ لا تَزَالُ تَقُومُ بِبَعْضِ الحَرَكَاتِ ضِدَّ الإِسْلامِ وَالمسْلِمِينَ، وَاسْتَلْزَمَتْ حَرَكَاتُهُمْ تِلْكَ أَنْ يَخُوضَ المسْلِمُونَ مَعْرَكَةَ حُنَيْنٍ وَغَزْوَةَ الطَّائِفِ.

* * *

(٣)

قَالَ أَيْمَنُ: وكَيْفَ قَابَلَ النَّبىُّ ﷺ هَذِهِ الحَرَكَات مِنْ بَقَايَا الأَعْدَاءِ؟

قَالَ الوَالِدُ: كَانَتْ قَبِيلَةُ هَوازِنَ قَدْ سَمِعَتْ بِخُروجِ رَسُولِ اللَّه ﷺ مِنَ المدِينَةِ، وَظَنُّوا أنَّهُ يُرِيدُ الاتِّجَاهَ إِلِيْهِمْ، فَاجْتَمَعُوا وَتَشَاوَرُوا وَأَعَدُّوا العُدَّةَ للقَائِه وَمُحَارَبَتِهِ للدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ،فلَمّا عَلِمُوا أنَّه قَد اتّجه إِلَى مَكَّةَ، وَأنَّهُ قَدْ فَتَحَهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا بِلا حَرْبٍ وَلا قِتَالٍ، خَافُوا أَنْ يَسِيرَ إِلِيْهِمْ بِذَلِكَ الجَيْشِ الكَبِيرِ لِيَغْزُوَهُمْ، ومَشَى رُؤَسَاءُ قَبِيلَةِ هَوَازِنَ لِيلْتَقُوا بِرؤَسَاءِ قَبِيلَةِ ثَقِيفٍ، وَتَشَاوَرُوا بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ فَرَغَ لَنَا، وَلا مَانِعَ لَهُ أَنْ يُقَاتِلَنَا، فالرأىُ السَّلِيمُ هُوَ أَنْ نَجْمَعَ جُيُوشَنَا وَنُعِدَّ قُوَّتَنَا، وَنُجَهِّزَ أنْفُسَنَا لِنَغْزُوَهُ نَحْنُ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوَنَا.

وكَانَتْ قِيَادَةُ هَذَا الجَيْشِ الَّذى جَهَّزُوهُ بِيَدِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِىِّ، وَقَد اتَّجَهَ إِلَى لِقَاءِ المُسْلِمِينَ، وَأمَرَ أَنْ يَخْرُجَ مَعَ الجَيْشِ النِّسَاءُ وَالأَبْنَاءُ والأمْوَالُ.

قَالَتْ إِيمَانُ: وَمَاذَا يَفْعَلُ النِّسَاءُ والأوْلادُ فِى المَعْرَكَةِ؟

قَالَ الوَالِد: إِنَّهُمْ لا يَفْعَلُونَ شَيْئًا ذَا بَالٍ. إلا أنَّ النِّسَاءَ كَانَتْ فِى بَعْضِ الحُرُوبِ تَسْقِى المقَاتِلِينَ الماءَ، أَوْ تُسَاعِدُ الجَرْحَى بِمَا يَلْزَمُ مِنْ تَمْرِيضٍ، ولَكِنْ فِى هَذِهِ المَعْرَكَةِ وَفِى مَعَارِكَ أُخْرَى كَانَ المُشْرِكُونَ يَخْرُجُونَ للْقِتَالِ وَمَعَهُمْ نِسَاؤُهُمْ وَأوْلادُهُمْ وَأمْوَالُهُمْ لِكَىْ تَشْتَدَّ حَمَاسَتُهُمْ وَيَخَافُوا عَلَى أَهْلِهِمْ مِنَ الأَسْرِ، وَخَاصَّةً أَنَّ الأَسْرَى إِذَا لَمْ يَجِدُوا مَنْ يَفْدِيهِمْ – كَمَا رَأيْنَا فِى غَزْوَةِ بَدْرٍ – فَإِنَّ مَصِيرَهُمْ أنْ يَكُونُوا عَبِيداً عِنْدَ أَعْدَائِهِمْ.. فَكَانَ المُحَارِبُ عِنْدَمَا يَرَى

مَعَهُ زَوْجَتَهُ أَوْ أَوْلادَهُ أوْ مَالَهُ تَزِيدُ حَمَاسَتُهُ وَغَيْرَتُهُ، وَيَخْشَى أَنْ يَلْحَقَهُ عَارُ الهَزِيمَةِ فَيَكُونَ مَصِيرُهُ أَنْ يَمْتَلِكَ الخَصْمُ أَهْلَهُ وَيَصِيرُوا عَبِيداً يُبَاعُونَ فِي الأَسْوَاقِ كَمَا يُبَاعُ مَتَاعُ المَنْزِلِ أَوِ الحَيَوانَاتُ الَّتِي لا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا شَيْئًا.

قَالَ أَشْرَفُ: وَهَلْ كَانَ المسْلِمُونَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟

قَالَ الوَالِدُ: لا.. إِنَّ المُسْلِمِينَ كَانُوا يُؤْمِنُونَ أَنَّ الجِهَادَ فَرْضٌ عَلَى الرِّجَالِ فَقَطْ، وَأَنَّهُ دِفَاعٌ عَنِ الدِّينِ أَوَّلاً، وَالدِّفَاعُ عَنِ الدِّينِ يَتَضَمَّنُ الدِّفَاعَ عَنِ الأَرْضِ، وَعَنِ العِرْضِ. وكَانَ المُجَاهِدُ المسْلِمُ يَسْتَمِدُّ حَمَاسَتَهُ وَغَيْرَتَهُ عَلَى دِينِهِ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنَّ لَهُ الجَنَّةَ، وَلَيْسَ لمجرَّدِ المحَافَظَةِ عَلَى مَتَاعٍ دُنْيَوِيٍّ، وَفِي أَحْوَالٍ قَلِيلَةٍ كَانَ بَعْضُ النِّسَاءِ يَخْرُجْنَ مَعَ جُيُوشِ المُسْلِمِينَ، لا لِلْحَرْبِ، وَلَكِنْ – كَمَا قُلْتُ – لِتَمْرِيضِ الجَرْحَى، أَوْ لإِمْدَادِ المُحَارِبِينَ بِمَا يَحْتَاجُونَ مِنْ مَاءٍ وَغِذَاءٍ.

قَالَ أَشْرَفُ: وَكَيْفَ الْتَقَى جَيْشُ المسْلِمِينَ بِجَيْشِ المُشْرِكِينَ فِي وَادِي حُنَيْنٍ؟

قَالَ الوَالِدُ: لَمَّا جَمَعَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّاسَ وَعَزَمَ عَلَى مُحَارَبَةِ المسْلِمِينَ قَبْلَ أَنْ يُحَارِبُوهُ، نَزَلَ بِجَيْشِهِ فِي وادٍ اسْمُهُ وَادِي أَوْطَاسٍ. وكَانَ مَعَهُمْ دُرَيْدُ ابْنُ الصِّمَّةِ رَئِيسُ بَنِي جُشَمٍ وَسَيِّدُهُمْ، وَلَكِنَّهُ كَانَ كَبِيرَ السِّنِّ عَجُوزاً ضَعِيفًا لا يَقْدِرُ عَلَى حَرْبٍ وَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَاتِلَ، أَخَذُوهُ مَعَهُمْ لِيُسَاعِدَهُمْ بِرَأْيِهِ لأَنَّهُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ مَعْرِفَةً بِالحَرْبِ وَمَكَائِدِهَا، وَخِدَاعِهَا، وَقَدْ حَمَلُوهُ فِي هَوْدَجٍ صَغِيرٍ لَيْسَ فِيهِ غَيْرُهُ، وَعِنْدَمَا وَصَلُوا وَادِي أَوْطَاسٍ سَأَلَهُمْ دُرَيْدٌ قَائِلاً: أَيْنَ أَنْتُمُ الآنَ؟

قَالُوا لَهُ: نَحْنُ بِوَادِى أَوْطَاسٍ.

قَالَ: نِعْمَ مَجَالُ الخَيْلِ! لا حَزَنٌ ضَرِسٌ، وَلا لَيِّنٌ دَهِسٌ. يَعْنِى أَنَّ هَذَا المَكَانَ هُوَ أَفْضَلُ مَكَانٍ تَجُولُ فِيه الخيلُ وَتَصُولُ، فَهُوَ لَيْسَ خَشِنًا أَىْ لَيْسَ فيه مُرْتَفَعَاتٌ تَحْجُزُ الخَيْلَ فِى كَرِّهَا وَفَرِّهَا، وَلَيْسَ لَيِّنًا فِيهِ تُرَابٌ وَطِينٌ يُعَطِّلُ الفُرْسَانَ عَنِ الحَرَكَةِ فِى المَعْرَكَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَكَانٌ سَهْلٌ تَفْتَرِشُهُ الرِّمَالُ الجَافَّةُ.

وَأَنْصَتَ دُرَيْدٌ سَمْعَهُ جَيِّداً لِمَا يَدُورُ مِنْ حَوْلِهِ فَوَجَدَ شَيْئًا غَرِيبًا وَكَأَنَّهُ ليس جَيْشًا ذَاهِبًا إِلَى مَعْرَكَةٍ، فَأَصْوَاتُ الحَيَوَانَاتِ تَرْتَفِعُ حَوْلَهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَكَأَنَّهُ يَسِيرُ فِى صُحْبَةِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ رُعَاةِ الإِبِلِ والغَنَم، وَلَيْسَ فِى صُحْبَةِ فُرْسَانٍ يَسْتَعِدُّونَ لمعْرَكَةِ مَصِيرٍ، قَالَ لَهُمْ: مَالِى أَسْمَعُ رُغَاءَ البَعِيرِ، وَنُهَاقَ الحَمِيرِ، وَيُعَارَ الشَّاءِ، وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ؟

فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ: لَقَدْ سَاقَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ.

فَقَالَ دُرَيْدٌ: وَأَيْنَ مَالِكٌ؟

وَذَهَبَ بَعْضُ الرِّجَالِ يَدْعُونَ مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ لِلْكَلامِ مَعَ دُرَيْدٍ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ لَهُ دُرَيْدٌ:

– يَا مَالِكُ.. إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ، وَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الأَيَّامِ، مَالِى أَسْمَعُ رُغَاءَ البَعِيرِ، وَنُهَاقَ الحَمِيرِ، وَيُعَارَ الشَّاءِ، وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ؟.

قَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ: سُقْتُ مَعَ النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَوْلادَهُم.

قَالَ مَالِكُ: أَرَدْتُ أنْ أَجْعَل خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ وَمَالَهُ لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ.

وكَانَ تَعْلِيقُ دُرَيْد عَلَى ذَلِكَ أَنْ نَقَرَ بِلِسَانِه فِي فَمِه كَمَا يَفْعَلُ الإِنْسَانُ عِنْدَمَا يَزْجُرُ حِمَارًا، فَعَلَ ذَلِكَ اسْتِجْهَالاً لِمَالِك بْن عَوْفٍ، ثُمَّ قَالَ: رَاعِي ضَأْنٍ وَاللَّه! وَهَلْ يردُّ المنْهَزِمَ شَيْءٌ؟ إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعْكَ إِلا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرُمْحِهِ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فُضِحْتَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ.

ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ كَعْبٍ وكِلابٍ وَهُمَا قَبِلَتَان مِنْ هَوَازِنَ، قَالَ دُرَيْدٌ: مَا فَعَلَتْ كَعْبٌ وكِلابٌ؟

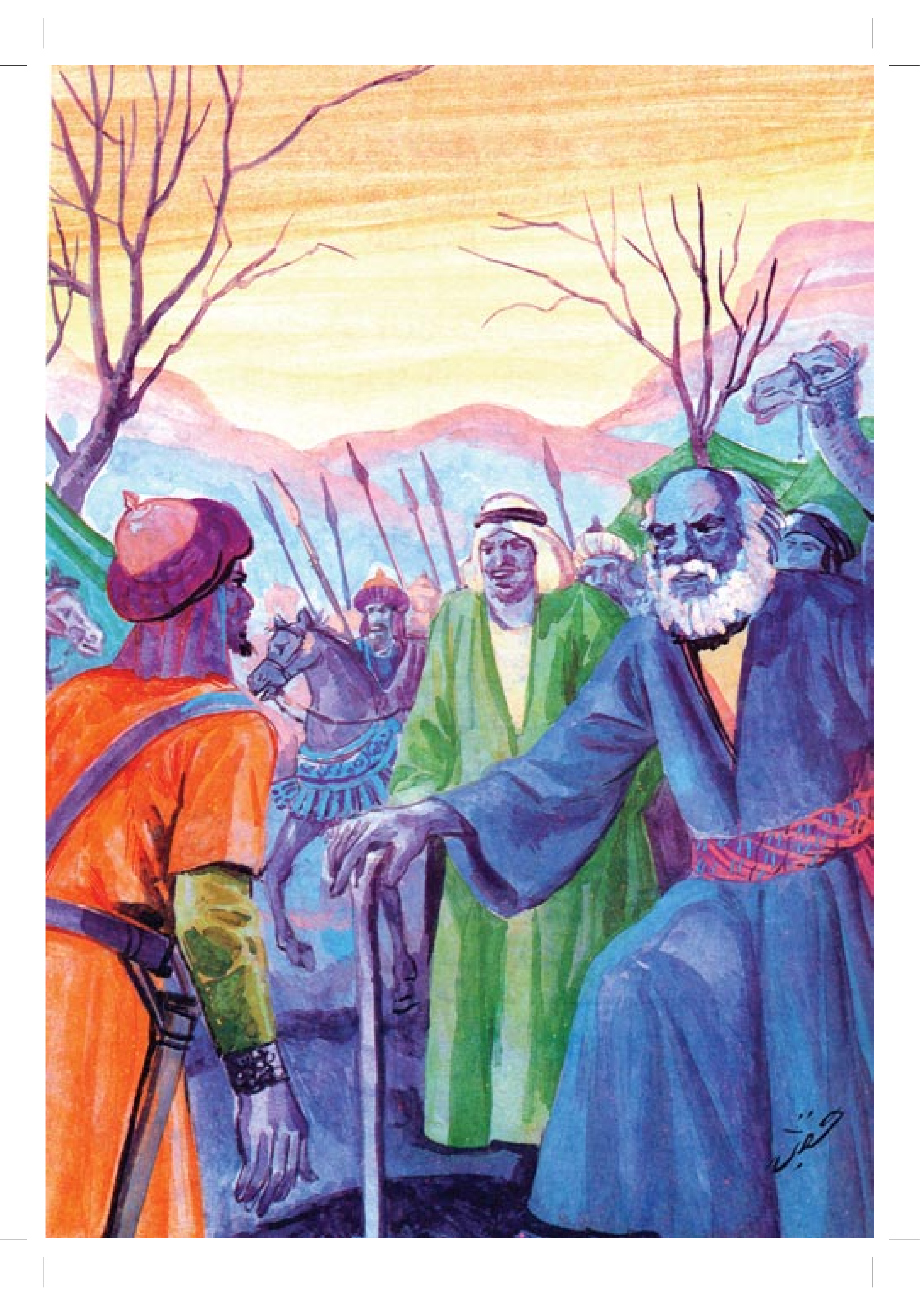
قَالَ مَالِكُ: لَمْ يَشْهَدْ مِنْهُمْ أَحَدٌ!.

قَالَ دريدٌ: غَابَ الحدُّ والجَدُّ - يَقْصِدُ بالحدِّ البأسَ والقُوَّةَ فِي القِتَالِ، وبالجدِّ الحظَّ والنَّصِيبَ الوَافِرَ.

واسْتَطْرَدَ دُرَيْدٌ يَقُولُ: وَلَوْ كَانَ يَوْمَ عَلاءٍ وَرِفْعَةٍ لَمْ تَغِبْ كَعْبٌ وَلا كِلابٌ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلُوا!!.

وَسَأَلَهُ دُرَيْدٌ عَنِ الفُرْسَانِ الَّذِينَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ فِي تِلْكَ المعْرَكَةِ فَقَالَ: مَعِي عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ وَعَوْفُ بْنُ عَامِرٍ.

فَقَالَ دُرَيْدٌ: ذَانِكَ الجذَعَانِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ لا يَنْفَعَانِ وَلا يَضُرَّانِ! يَا مَالِكُ إِنَّكَ تُقَدِّمُ القَوْمَ كُلَّهُمْ إِلَى نُحُورِ الخيلِ، وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تُرْجِعَ النِّسَاءَ والأَوْلادَ والأَمْوَالَ إِلَى بُيُوتِهِمْ وَإِلَى أَمَاكِنِهِمْ الحَصِينَةِ، ارْفَعْهُمْ إِلَى متمنَّع بلادِهِمْ وَعُلْيَا قَوْمِهِمْ، ثُمَّ تَقَدَّمْ بِفُرْسَانِكَ عَلَى مُتُونِ الخَيْلِ، فَإِنْ كَسبْتَ المَعْرَكَةَ وكَانَتْ لَكَ



لحَقَ بِكَ مَنْ وراءَكَ.. وَإِنْ خَسِرْتَهَا وكَانَتْ عَلَيْكَ تَكُونُ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ.

وَلَكِنَّ مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ والكِبْرِيَاءُ وَرَفَضَ مَشُورَةَ الشَّيْخِ المُجَرِّبِ، وَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لا أَفْعَلْ.. إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَكَبُرَ عِلْمُكَ.. لَتُطِيعُنَّنِي يَا مَعْشَرَ هَوَازِنَ، أَوْ لأَتَّكِئَنَّ عَلَى هَذَا السَّيْفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي.

قَالَ دُرَيْدُ: هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ، وَلَمْ يَفُتْنِي.

يَقْصِدُ أنَّ هَذَا اليَوْمَ لَيْسَ لِي فِيهِ رأي.. حَضَرْتُ مَعَكُمْ وَلَمْ تَأخُذُوا بِمَشُورَتِي فَأنَا حَاضِرٌ كَغَائِبٍ.

وَأرْسَلَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ جَوَاسِيسَهُ لِينظُرُوا لَهُ، وَيَأتُوهُ بِخَبَرِ جَيْشِ المسْلِمِينَ، فَرَجعُوا إِلَيْهِ وَقَدِ انْزَعَجُوا أشَدَّ انْزِعَاجٍ، وَبَدَأُوا يَرْتَعِشُونَ أمَامَهُ، فَقَالَ مَالِك: وَيْلَكُمْ، مَا شَأنُكُمْ؟

قَالُوا: رَأَيْنَا رِجَالاً بيضًا عَلَى خَيْلٍ بُلْقٍ، فَوَ اللَّهِ مَا تَمَاسَكْنَا أَنْ أَصَابَنَا مَا تَرَى.

وَلَكِنَّ مَالِكَ بْنِ عَوْفٍ لَمْ يَنْتَهِ عَمَّا أَرَادَ، وَتَقَدَّمَ بِرِجَالِهِ وَمَضَى إِلَى مَا يُرِيدُ.

* * *

(٤)

قَـالَتْ إِيمـانُ: وَأَيْنَ كَـانَ الْمُسْلِمُـونَ؟ وَكَـيْفَ لَمْ تَصِلْهُمْ أنباءُ هَذِهِ الاسْتِعْدَادَاتِ؟

قَالَ الوَالِدُ: لَقَدْ طَارَ الخَبَـرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَنِ انْتَهَى مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ، وكَانَ يَتَهَيَّأُ لِلعَوْدَةِ إِلَى المَدِينَةِ المنَوَّرَةِ، فَقَالَ لَهُ القَائِلُونَ أنَّ مَالِكَ بنَ عَوْفٍ قَدْ حَشَدَ هَوَازِنَ وَثَقِيفًا وَنَصْرًا وَجُشَمَ، وَأَنَّهُ - وَمَعَهُ هَذِهِ القَبَائِلُ - يُوشِكُ أَنْ يَشْتَبِكَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِتَالٍ.

وَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الأَخْبَارَ اسْتَدْعَى عَبْدَ اللَّهِ بنَ أَبِي حَدْرَدٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْنَ جُنُودِ هَذِهِ القَبَائِلِ، فَيُقِيمَ فِيهِمْ حَتَّى يَأْتِيَهُ بِخَبَرٍ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي حَدْرَدٍ فَدَخَلَ فِيهِمْ وَأَقَامَ مَعَهُمْ حَتَّى سَمِعَ مِنْهُمْ، وَعَلِمَ مَا قَدْ أَجْمَعُوا لَهُ مِنْ حَرْبٍ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ اسْتِعْدَادَاتٍ، وَعَادَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمْ. فَقَالَ: انتَهَيْتُ إِلَى خِبَاءِ مَالِكِ بنِ عَوْفٍ، وَعِنْدَهُ رُؤَسَاءُ هَوَازِنَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يُقَاتِلْ قَوْمًا قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ المَرَّةِ، وإِنَّمَا كَانَ يَلْقَى قَوْمًا أَغْمَارًا لا عِلْمَ لَهُمْ بِالحَرْبِ فَيَظْهَرَ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ فَصُفُّوا مَوَاشِيَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ مِنْ وَرَائِكُمْ، ثُمَّ تَكُونُ الحَمْلَةُ مِنْكُمْ، وَاكْسِرُوا أَغْمَادَ سُيُوفِكُمْ، فَتَلْقَوْنَهُ بِعِشْرِينَ أَلْفَ سَيْفٍ، وَاحْمِلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَاعْلَمُوا أنَّ الغَلَبَةَ لِمَنْ حَمَلَ أَوَّلاً.

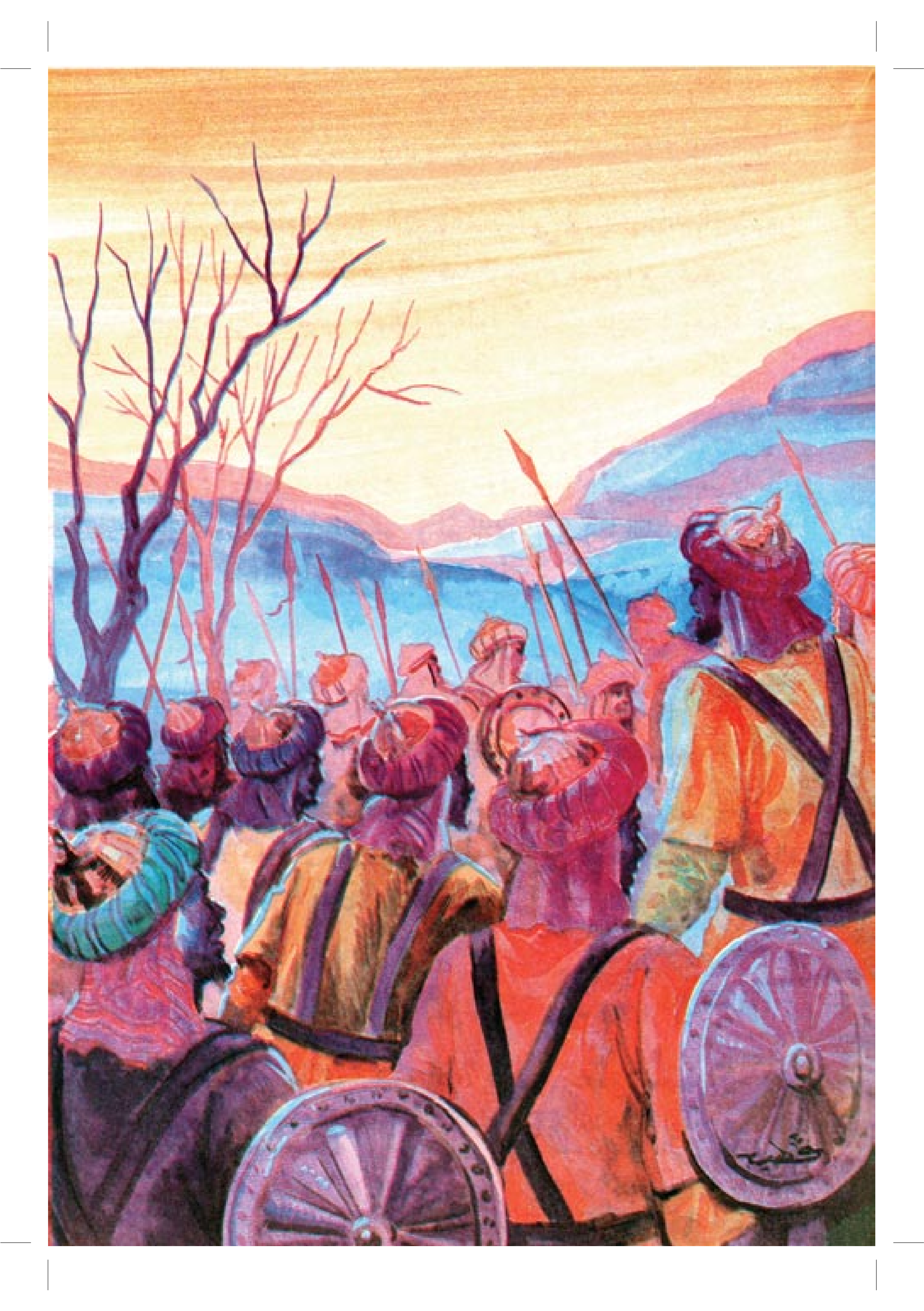
قَالَ أَشْرَفُ: وَمَا مَعْنَى أنَّ الغَلَبَةَ لِمَنْ حَمَلَ أوَّلاً؟

قَالَ الوَالِدُ: هَذَا كَمَا يَقُولُونَ فِى حُرُوبِ هَذِهِ الأيَّامِ أَنَّ النَّصْرَ يَكُونُ لِصَاحِبِ الضَّرْبَةِ الأُولَى. وَهَكَذَا اسْتَعَدَّ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ لأنْ يَكُونَ هُوَ صَاحِبُ الضَّرْبَةِ الأُولَى. وَعَزَمَ النَّبِىُّ ﷺ أنْ يَسِيرَ إِلَى هَوَازِنَ لِيَلْقَاهُمْ، وَكَانَ يُرِيدُ سِلاحًا أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدَهُ، فَأعْلَمُوهُ أَنَّ صَفْوَانَ بنَ أُمَيَّةَ عِنْدَهُ سِلاحٌ وَأدْرَاعٌ، وَكَانَ صَفْوَانُ لا يَزَالُ مُشْرِكًا - فَأرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِىُّ ﷺ قَائِلاً: يَا صَفْوَانُ، أَعِرْنَا سِلاحَكَ هَذَا نَلْقَى فِيهِ عَدُوَّنَا غَدًا. فَقَالَ صَفْوَانُ: أَغَصْبًا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: بَلْ عَارِيَةً مَضْمُونَةً حَتَّى نُؤَدِّيَهَا إِلَيْكَ.

قَالَ صَفْوَانُ: لَيْسَ بِهَذَا بَأسٌ، وَأَعْطَى النَّبِىَّ ﷺ مِائَةَ دِرْعٍ بِمَا يَكْفِيهَا مِنَ السِّلاحِ.

ثُمَّ خَرَجَ النَّبِىُّ ﷺ وَمَعَهُ أَلْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا، مَعَ عَشْرَةِ آلافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَتَحَ بِهِمْ مَكَّةَ، فَكَانُوا اثْنَىْ عَشَرَ أَلْفًا، نَظَرَ النَّبِىُّ ﷺ إِلَيْهِمْ. وَقَالَ: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلافٍ، وَلَنْ تُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ»، وَقَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ أنَّ سِتَّةً مِنَ الصحَابَةِ قَالُوا: «لَنْ نُغْلَبَ اليَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ». وَهَذَا سَبَبُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ **إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ... (٢٥)** ﴾ [التوبة].

* * *



(٥)

اسْتَقْبَلَ المسْلِمُونَ وَادِى حُنَيْنٍ وانْحَدَرُوا فِى أَوْدِيَةِ تُهَامَةَ. وكَانَ مَالِكُ بنُ عَوْفٍ وَقَوْمُهُ قَدْ سَبَقُوهُمْ إِلَى هَذَا الوَادِى، فكمنُوا فِى شِعَابِهِ وأحْنَائِهِ ومَضِيقِهِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّئُوا وَأَعَدُّوا أَنْفُسَهُمْ لِلْقِتَالِ. وَفَجْأةً هَجَمَ المُشْرِكُونَ هَجْمَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، واسْتَقْبَلُوا المسْلِمِينَ بالنَّبْلِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ.

وَانْهَزَمَ المُسْلِمُونَ، وَتَفَرَّقُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لا يَلْوِى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَانْحازَ النَّبِىُّ ﷺ ذَاتَ اليَمِينِ، ثُمَّ نَادَى: أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟ هَلُمُّوا إِلَىَّ أنَا رَسُولُ اللَّهِ، أنَا مُحَمَّد بنُ عَبْدِ اللَّهِ، أنَا النَّبِىُّ لا كَذِبْ، أنَا ابنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ.

وانْطَلَقَ النَّاسُ فَارِّينَ مِنَ المَعْرَكَةِ، إِلا أنَّهُ قَدْ بَقِىَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نفرٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأنْصَارِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

وَلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ هَذِهِ الهَزِيمَةَ المنْكَرَةَ كَانَ هُنَاكَ رِجَالٌ مِنْ جُفَاةِ مَكَّةَ بَدَأُوا يتكَلَّمُونَ بِمَا فِى نُفُوسِهِمْ، وَيُبْدُونَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ مِنْ غِلٍّ لا يَزَالُ سَاكِنًا فِى الصُّدُورِ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ: لا تَنْتَهِى هَزِيمَتُهُمْ دُونَ البَحْرِ.

وَقَالَ كِلْدَةُ بْنُ الحنْبَلِ: أَلا بَطَلَ السِّحْرُ اليَّوْمَ.

وَقَالَ شَيْبَةُ بنُ عُثْمَانَ: اليومَ أُدْرِكُ ثَأرِى. سَأَقْتُلُ مُحَمَّدًا.

وَرَأى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أنَّ النَّاسَ يَفِرُّونَ وَلا يَلْوُونَ عَلَى شَىْءٍ، فَقَالَ: يَا عبَّاسُ، اصْرُخْ: يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ.

فَنَادَى العبَّاسُ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ.

فَأجَابُوا: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ.

قَالَتْ إِيمانُ: مَنْ هُمْ أصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ وَمَا هِيَ السَّمُرَةُ الَّتِى هُمْ أَصْحَابُهَا؟

قَالَ الوَالِدُ: السَّمُرَةُ هِيَ الشَّجَرَةُ الَّتِى كَانَتْ تَحْتَهَا بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، وكَانُوا قَدْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُقَاتِلُوا مَعَهُ إِلَى آخِرِ لحْظَةٍ فِى حَيَاتِهِمْ. وَفِيهِمْ نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)** ﴾ [الفتح].

نَادَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَعَادُوا إِلَيْهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَذْهَبُ لِيُثْنِيَ بَعِيرَهُ، فَلا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَأخُذُ دِرْعَهُ فَيَقْذِفُهَا فِى عُنُقِهِ، وَيَأخُذُ سَيْفَهُ وَتُرْسَهُ، ثُمَّ يَتْرُكُ بَعِيرَهُ، وَيُخْلِي سَبِيلَهُ فِى النَّاسِ، وَيَتَّجِهُ إِلَى الصَّوْتِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى اجْتَمَعَ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ مِائَةُ رَجُلٍ، اسْتَقْبَلُوا المشْرِكِينَ بِصُدُورِهِمْ، وَنَظَرَ النَّبِيُّ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ.

قَالَ أَيْمَنُ: وَهَلْ تَمَكَّنَ هَؤلاءِ المائَةُ مِنَ الانْتِصَارِ أمَامَ آلافِ المقَاتِلِينَ مِنْ ثَقِيفٍ وَهَوَازِنَ؟

قَالَ الوَالِدُ: لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الموْجَةُ الأُولَى، وَهُنَا العِبْرَةُ فِى هَذِهِ الغَزْوَةِ، لَقَدْ عَادَ النَّاسُ إِلَى الثِّقَةِ باللَّهِ وَبِأنْفُسِهِمْ، وَالْتَفُّوا حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِى التَفَتَ فَرَأى إِلَى جَانِبِهِ أبَا سُفْيَانَ بنَ الحَارِثِ – وَهُوَ ابنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

وَلَيْسَ أبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ الأمَوِىَّ – رَآه النَّبِىُّ يُمْسِكُ بِسرْجِ بَغْلَتِهِ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أنَا ابْنُ أُمِّكَ يَا رَسُول اللَّهِ.

وكَانَتْ أُمُّ سَلِيمٍ مَعَ زَوْجِهَا، وَهِىَ حَازِمة وَسَطَهَا ببرْدٍ لَهَا، وَمَعَهَا جَمَلُ زَوْجِهَا وَقَدْ خَشِيَتْ أَنْ يَغْلِبَهَا الجَمَلُ فَأدْنَتْ رَأسَهُ مِنْهَا، وَأدْخَلَتْ يَدَهَا فى خِزَامَتِهِ مَعَ الخِطَامِ، فَقَالَ لَهَا الرَّسُولُ: أُمُّ سَلِيمٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. بأبى أنْتَ وأُمِّى يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْتُلْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَنْهَزِمُونَ عَنْكَ، كَمَا تَقْتُلُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ، فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوَيَكْفِى ذَلِكَ يَا أُمَّ سَلِيمٍ؟

وَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا أَبُو طَلْحَةَ: مَا هَذَا الخِنْجَر مَعَك يَا أُمَّ سَلِيمٍ؟ قَالَتْ: خِنْجَرٌ أَخَذْتُهُ، إِنْ دَنَا مِنِّى أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعَجْتُهُ بِهِ.

وَانْهَزَمَتْ هَوَازِنُ، واشْتَدَّ القَتْلُ فِى بَنِى مَالِكٍ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ، وَكَانَتْ رَايَتُهُمْ مَعَ ذِى الخِمَارِ، فَلَمَّا قُتِلَ أخَذَهَا عُثْمَانُ بن عبد اللَّهِ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ. وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ خَبَرُ مَقْتَلِهِ قَالَ: أَبْعَدَهُ اللَّهُ فإِنَّهُ كَانَ يُبْغِضُ قُرَيْشًا.

* * *



(٦)

انْتهت المعْركَةُ بانْتصَارِ المسْلمينَ انْتصَاراً لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ بَعْدَ الهَزِيمَة الشَّنْعَاءِ الَّتى لاقَوْهَا فِى البِدَايَة، وَجُمعَت السَّبَايَا وَالأَمْوَالُ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَأمَرَ بالاحْتفَاظ بِهَا فِى مَكَانٍ اسْمُهُ «الجعْرَّانَة».

وَسَارَ الرَّسُولُ ﷺ مُتَتَبِّعًا بَنى ثَقيف إِلَى الطَّائف فَحَاصَرَهُمْ بِهَا بِضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، وَدَارَتْ مَعَارِكُ اسْتَخْدَمَ فِيهَا الفَرِيقَانِ شَتَّى أنْوَاعِ الأَسْلحَة.

وانْصَرَفَ النَّاسُ عَنِ الطَّائِف بَعْدَ القِتَالِ والحِصَارِ، وسَارَ الرَّسُولُ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ منَ المُسْلمينَ حَتَّى نَزَلَ الجعرَّانَة الَّتى بِهَا سَبْىُ هَوَازِنَ. وَهُنَاكَ أتَى وَفْدُ هَوَازِنَ إِلَى النَّبىِّ ﷺ، وَقَدْ أَسْلَمُوا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّا أَصْلٌ وعَشيرَةٌ، وَقَدْ أَصَابَنَا منَ البَلاءِ مَا لا يَخْفَى عَلَيْكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ.

وَقَامَ رَجُلٌ منْ هَوَازِنَ، هُوَ أَحَدُ بَنى سَعْدٍ الَّذينَ عَاشَ النَّبىُّ ﷺ بَيْنَهُمْ فِى طُفُولَته، حينَمَا كَانَتْ تُرْضعُهُ السَّيِّدَةُ حَليمَةُ السَّعْدِيَّةُ، تَقَدَّمَ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّمَا فِى الحَظَائِرِ عَمَّاتُكَ وَخَالاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ الَّلائى كُن يَكْفُلْنَكَ، وَلَوْ كُنَّا أَرْضَعْنَا للْحَارِثِ بن أَبى شَمَّرَ، أَوْ للنُّعْمَانِ بن المنْذرِ، ثُمَّ نَزَلَ منَّا بِمِثْلِ مَا نَزَلْتَ بِه رَجَوْنَا عَطْفَهُ وَفَضْلَهُ، وأَنْتَ خَيْرُ المكْفُولينَ.

قَالَ ﷺ: أَبْنَاؤُكُمْ وَنساؤُكُمْ أَحَبُّ إِليكُمْ أَمْ أَمْوالُكُمْ؟

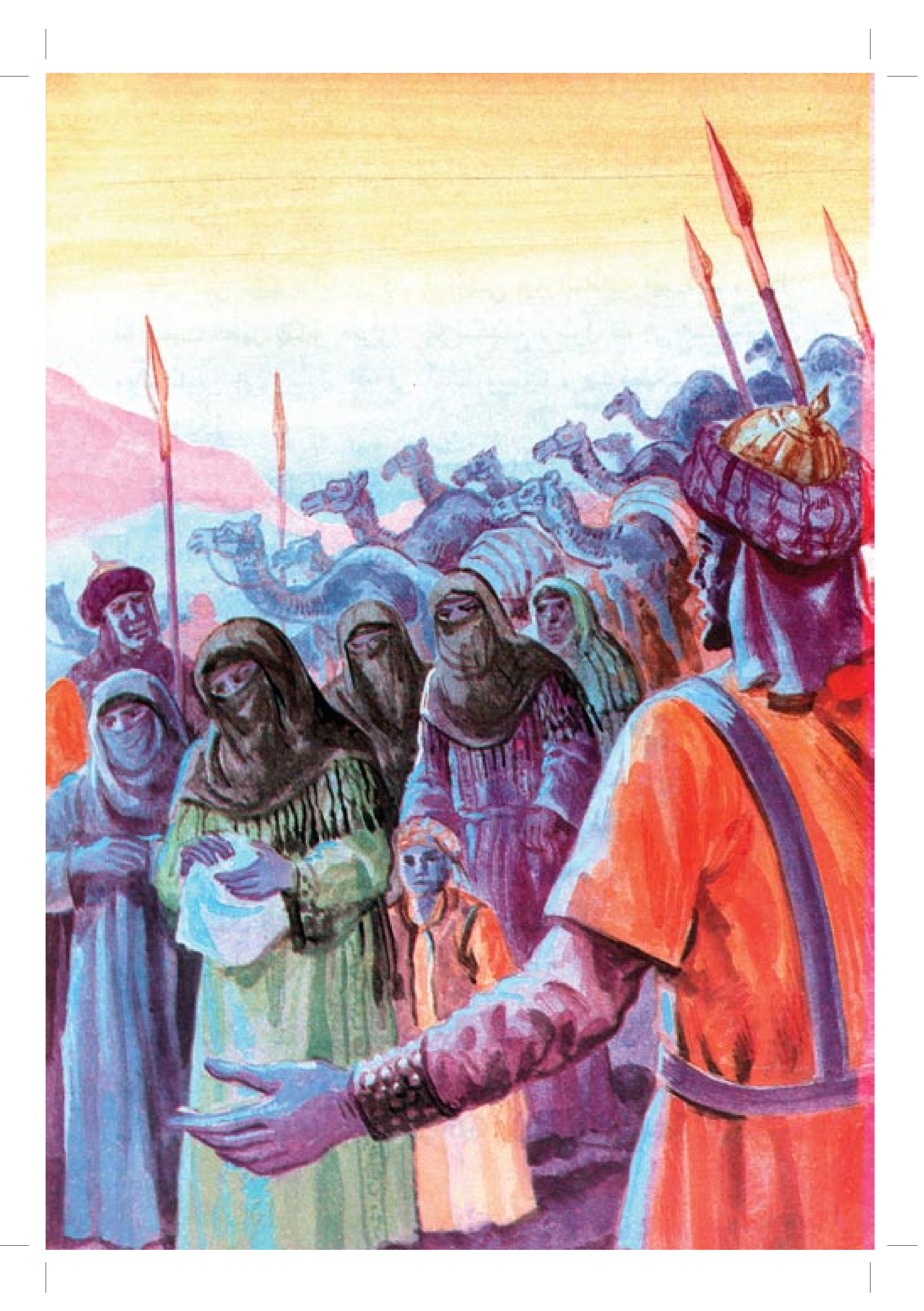
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، خَيَّرْتَنَا بَيْنَ أَحْسَابِنَا وَأمْوَالنَا، بَلْ تَرُدُّ عَلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَهُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا.

قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : أمَّا مَا كَانَ لِى وَلِبَنِى عَبْدِ المُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، فَإِذَا أنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ فَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى المُسْلِمِينَ، وبِالمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِى أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا، فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ.

فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ، قَامُوا فَتَكَلَّمُوا بِالَّذِى أَمَرَهُمْ بِهِ النَّبِىُّ، وَتَشَاوَرَ النَّبِىُّ ﷺ مَعَ رُؤَسَاءِ القَبَائِلِ فِى المَنِّ عَلَى هَؤُلاءِ السَّبَايَا، فَمِنْهُمْ مَنْ قَبِلَ شَفَاعَةَ النَّبِىِّ فِيهِمْ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِدُونِ فِدَاءٍ إِرْضَاءً لِرَسُولِ اللَّهِ، وَاحْتِرَامًا لِمَكَانَةِ بَنِى سَعْدٍ عِنْدَهُ، وَفِيهِمْ أَعْمَامُهُ وَعَمَّاتُهُ، وَأَخْوَالُهُ وَخَالاتُهُ فِى الرِّضَاعِ، وَلَكِنَّ بَعْضَ المُسْلِمِينَ تَمَسَّكُوا بِحَقِّهِمْ فِى هَذَا السَّبْى وَرَفَضُوا أَنْ يَتَنَازَلُوا عَنْ شَىْءٍ مِنْهُ، فَاتَّفَقَ مَعَهُمْ النَّبِىُّ ﷺ أنْ يَمُنُّوا عَلَيْهِمْ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ لَهُمْ عَنْ كُلِّ نَفْسٍ مِنْ هَذَا السَّبْىِ سِتًّا مِنَ الإِبِلِ مِنْ أَوَّلِ مَا يَجْمَعُونَهُ مِنَ الزَّكَاةِ بَعْدَ عَوْدَتِهِمْ إِلَى دِيَارِهِمْ، وَبِذَلِكَ مَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى كُلِّ أَسَارَى هَوَازِنَ الَّذِينَ اشْتَبَكُوا مَعَهُ.

قَالَتْ إِيمَانُ: وَأَيْنَ ذَهَبَ مَالِكُ بنُ عَوْفٍ الَّذِى قَادَ جُيُوشَ المُشْرِكِينَ مُنْذُ البِدَايَةِ؟

قَالَ الوَالِدُ: لَقَدْ سَأَلَ النَّبِى ﷺ وَفْدَ هَوَازِنَ قَائِلاً: مَا فَعَلَ مَالِكُ بنُ عَوْفٍ؟ فَقَالُوا: هُوَ بِالطَّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : أَخْبِرُوا مَالِكًا أَنَّهُ إِنْ أَتَى مُسْلِمًا رَدَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ.



وَلَّمَا عَرَفَ مَالِكٌ ذَلِكَ الوَعْدَ الَّذِى وَعَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنَ الطَّائِفِ مُسْتَخْفِيًا، حَتَّى لَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لا يَزَالُ فِى الجِعرَّانَةِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِىُّ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأَعْطَاهُ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَسْلَمَ مَالِكُ بنُ عَوْفٍ وَحَسُنَ إِسْلامُهُ، وَجَعَلَهُ النَّبِىُّ وَالِيًا عَلَى قَوْمِهِ وَعَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنَ القَبَائِلِ حَوْلَ الطَّائِفِ.

واقرءوا يا أبنائى.. قول الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٧) ﴾

الأسئلة

وإليكم هذه الأسئلة عن مضمون القصة بعد أن قرأتموها وتفهمتم الغرض من ذكرها:

١– هل هناك أوجه شبهٍ بين غزوة حنين وغزوة أحد؟

٢– ما هى المفارقة التى تعرفها بين معركة بدر ومعركة أوطاس؟

٣– كم كان عدد المسلمين الذين اشتركوا فى غزوة حنين؟ وما أسماء القبائل التى اشتركت فيها من هوازن والطائف؟

٤– ما الذى تعرفه عن دريد بن الصمة؟ وما مضمون الحوار الذى دار بينه وبين مالك بن عوف؟

٥– تشبه غزوة حنين فى نهايتها غزوة بدر، فكيف كانت معاملة النبى للأسرى فى كل منهما؟ – راجع قصة (قوة الصابرين، وأسرى بدر – عتابٌ وفِدَاء).

٦– ما هى الصلة بين النبى ﷺ وبنى سعد من هوازن؟ وكيف كافأ النبى ﷺ بنى سعد بسبب هذه الصلة؟

درس النحو

الممنوع من الصرف

الصرف هنا معناه التنوين الذى يلحق الاسم فى آخره، نقول: هَذَا قِطَارٌ، وَتِلْكَ سَيَّارَةٌ يملكُهَا خالِدٌ. . . إلخ.

وهناك بعض الأسماء التى لا يلحقها هذا التنوين، تسمى (الممنوعُ من الصرف) وهذه الأسماء لها مواضع يجب حفظها جيدا لكى تتمكن من نطق هذه الأسماء نطقًا صحيحًا. . فهى تُجَرُّ بالفتحة نيابة عن الكسرة، ولا يجوز للمتكلم أن ينطق بها منونة. .

والمواضع التى يمتنع فيها الصرف هى:

١- إذا كان الاسم علمًا مؤنثًا مثل: سُعَادُ، زَيْنَبُ، أمَلُ، إيناسُ، فَاطِمَةُ، عَائِشَةُ.

٢- إذا كان علمًا أعجميًا - أى ليس عربيًا - يزيد على ثلاثة أحرف، مثل: إِسْمَاعِيلُ، إِبرَاهِيمُ، لُوَيسُ، رِيجَانُ، مِيتْرَانُ، إِفْلاطُونُ.

٣- إذا كان علمًا مختومًا بألف ونون مزيدتين، ثمل: شعبَانُ، رَمَضَانُ، سَحْبَانُ، حَسَّانُ، عَفَّانُ، عُثْمَانُ.

٤- إذا كان علمًا مركبًا تركيبا مزجيًا - أى مكونًا من جزأين امتزجا حتى صارا كالجزء الواحد. مثل: بُورْ سَعِيدُ، بَعْلَبَكُّ، حَضْرَمَوْتُ، ستالِنْجرادُ، بُطْرُسْبُرجُ، مَعْدِيكَرِبُ.

٥– إِذا كـان علمًا على وزن الفعل نحـو: يَزِيدُ، فـهى كلمـة يـمكن أن تكون اسـمًا – يزيد بـن معـاوية – ويـمكـن أن تكون فعلاً، إِذا قلت هذا يزيد على هذا.. ومثلها كلمات: أحمَدُ يَشْكُرُ، وتَدْمُرُ، وَتَغْلِبُ.

٦– إِذا كان علمًا على مثال فُعَل، وتسمى العلمية والعدل مثل: عُمَرُ، زُحَلُ، زُفَرُ، عُبَدُ، قُثَمُ..

ولا تزال هناك مواضع للاسم الممنوع من الصرف موعدنا معها القصة التالية.

وإلى اللقاء يا أبنائى فى القصة التالية

(عزير .. آية الله للناس)

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

١ - الفاتحة أم الكتاب
٢ - خليفة الله
٣ - يا بنى إسرائيل
٤ - بقرة بنى إسرائيل
٥ - هاروت وماروت
٦ - بيت الله
٧ - قبلة المسلمين
٨ - وقاتلوا فى سبيل الله
٩ - طالوت وجالوت
١٠ - قدرة الله
١١ - امرأة عمران
١٢ - وإذ قالت الملائكة يا مريم
١٣ - ابنة عمران
١٤ - عيسى فى السماء
١٥ - نصر الله
١٦ - اختبار الله
١٧ - حياة الشهداء
١٨ - صلاة الحرب
١٩ - الأرض المقدسة
٢٠ - قابيل وهابيل
٢١ - مائدة من السماء
٢٢ - هل يستوى الأعمى والبصير
٢٣ - إبراهيم يبحث عن الله
٢٤ - بنو آدم والشيطان
٢٥ - أصحاب الجنة وأصحاب النار
٢٦ - نوح عليه السلام وقومه
٢٧ - هود عليه السلام وقومه
٢٨ - صالح عليه السلام وقومه
٢٩ - لوط عليه السلام وقومه
٣٠ - شعيب عليه السلام وقومه
٣١ - موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
٣٢ - قوم موسى وقوم فرعون
٣٣ - موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٣٤ - بنو إسرائيل عبدوا العجل
٣٥ - سفهاء بنى إسرائيل
٣٦ - موسى عليه السلام والأسباط
٣٧ - ضحية الشيطان
٣٨ - دفاع عن الرسول
٣٩ - وعد الله
٤٠ - توزيع الغنائم
٤١ - قوة الصابرين
٤٢ - أسرى بدر عتاب وفداء
٤٣ - يوم الحج الأكبر.
٤٤ - يوم حنين.
٤٥ - عزير آية الله للناس.
٤٦ - الشهور العربية والأشهر الحرم.
٤٧ - وإذ يمكر بك الذين كفروا.
٤٨ - لا تحزن إن الله معنا.
٤٩ - المنافقون فى المدينة.
٥٠ - خذ من أموالهم صدقة.
٥١ - مسجد التقوى ومسجد الضرار.
٥٢ - المسلمون فى ساعة العسرة.
٥٣ - الثلاثة الذين خُلِّفوا.
٥٤ - والله يعصمك من الناس.
٥٥ - القرآن يتحدى.
٥٦ - وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر.
٥٧ - يا بنى اركب معنا.
٥٨ - يوسف عليه السلام فى غيابة الجب.
٥٩ - يوسف عليه السلام السجين المظلوم.
٦٠ - سر قميص يوسف عليه السلام.
٦١ - لقاء الأحبة.
٦٢ - ثم استوى على العرش.
٦٣ - حتى يغيروا ما بأنفسهم.
٦٤ - زمزم نبع الأنبياء.
٦٥ - مقام إبراهيم مصلًى.
٦٦ - ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
٦٧ - أصحاب الأيكة.
٦٨ - فاصدع بما تؤمر.
٦٩ - ويخلق ما لا تعلمون.
٧٠ - وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
٧١ - رياحين البيوت شقائق الرجال.
٧٢ - التى نقضت غزلها.
٧٣ - سبحان الذى أسرى بعبده.
٧٤ - فتية آمنوا بربهم.
٧٥ - صاحب الجنتين.
٧٦ - موسى عليه السلام والعبد الصالح.
٧٧ - ذو القرنين.
٧٨ - يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
٧٩ - واذكر فى الكتاب مريم.
٨٠ - ذلك عيسى ابن مريم.
٨١ - واذكر فى الكتاب إسماعيل.
٨٢ - واذكر فى الكتاب إدريس.
٨٣ - وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
٨٤ - الوادى المقدس طوى.
٨٥ - وجعلنا من الماء كل شىء حى.
٨٦ - النار بردا وسلاما.
٨٧ - حكمة سليمان عليه السلام
٨٨ - وأيوب إذ نادى ربه.
٨٩ - يونس عليه السلام فى بطن الحوت.
٩٠ - سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
٩١ - موسى عليه السلام القوى الأمين.
٩٢ - قارون وعاقبة المفسدين
٩٣ - زيد... هو ابن حارثة.
٩٤ - الأحزاب وجنود الله الخفية.
٩٥ - جنات سبأ وجزاء الكفور.
٩٦ - وفديناه بذبح عظيم.
٩٧ - بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
٩٨ - جنة الدنيا ومتاع الغرور.
٩٩ - أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
١٠٠ - للبيت رب يحميه.

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث